



برنامج: فى الممنوع

5 أغسطس 2007

تقديم: مجدى مهنى
ضيف البرنامج: رءوف عباس

مجدى مهنى: أعزائى المشاهدين هلاً بكم فى حلقة جديدة من برنامج فى الممنوع. نستكمل فى هذه الحلقة من برنامج "فى الممنوع" الحوار الصريح الذى بدأناه فى الأسبوع الماضى مع الدكتور رءوف عباس المؤرخ الكبير ورئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

أهلاً بك مرة ثانية يا دكتور رءوف.

رءوف عباس: هلاً سهلاً.

مجدى مهنى: ثارت سيرتك الذاتية التى نشرتها بعنوان "مشيناها خطى" الكثير من الجدل. أرجو أن تحدثنا حول هذا الكتاب.

رءوف عباس: أنا لم أكن سياسياً ولا عضواً فى تنظيم ولم أعب دوراً فى الحياة السياسية.

مجدى مهنى: ربما كانت هذه حجة استخدمت ضد الكتاب نفسه؟

رءوف عباس: ربما. لكننى كنت أتكلم عن قصة إنسان مصرى فى إطار التحول الذى شهدته مصر فى نصف قرن. فى الستين سنة التى عشتها، أو الخمسة وستين سنة عندما كتبت هذا الكتاب. فلم يكن فى ذهنى أصلاً أن أكتب مذكرات. إنما لى مجموعة من الأصدقاء المخلصين كلما تحدثنا معا نصحونى بكتابة هذا الكلام وأوه هاماً.

مجدى مهنى: وقائع معينة؟

رءوف عباس: لقد سجلت شريط لحياتى من يوم ولدت حتى يوم كتبت هذه السيرة. لم أتذكر للوسط الإجماعى الفقير (الغلبان) الذى نشأت فيه بل بالعكس فقد وصفته بدقة نالت إستحسان الكثيرين، وقلت كلاماً لا يعلنه أحد عن حياته أو عن نفسه.

مجدى مهنى: قليل جداً من يقولون مثل هذا الكلام مثلاً الدكتور يسرى عوض كان شغافاً وكان دكتور عبداللطيف الزيات أيضاً فى مذكراته أو فى ذكرياته.

رءوف عباس: إتهمنى البعض أننى كتبت هذا لى يصدق القارئ ما كتبتّه عن الآخرين وهذا غير صحيح. لم يكن هذا فى نيتى بل سردت القصة كما وقعت. طبعا المذكرات دينٌ فى رقية كل من قام بدور فى العمل الوطنى سواء كان هذا العمل الوطنى فى الشارع أو فى مقاعد السلطة أو فى تنظيمات.

مجدى مهنى: ولكن الكثير من السياسيين يرفضون كتابة المذكرات.

رءوف عباس: ليست لدينا هذه الثقافة. ثلاثاً الكثير من العراقيين للذين لعبوا أدواراً فى العهد الملكى قد كتبوا مذكراتهم. هذه الثقافة ترجع للتنشئة. سأضطر لأن أعطيك مثلاً ثانياً من اليابان. هل تعلم أن الطفل اليابانى بدلاً من لأن يُطلب منه كتابة موضوع تعبير يطلبون منه أن يكتب الأحداث التى مرت به منذ غادر المدرسة بالأمس. وبعدما يكتب صفحة أو أكثر يراجعون له اللغة والأسلوب. فالناس معتادون على كتابة يومياتهم لدرجة إننى قابلت أستاذ يابانى سنة 73 وقابلته سنة 86 ففوجئت به يضع أمامه أجنده سنة 73 وقال لى أنه فى يوم كذا من أغسطس تقابلنا الساعة كذا فى هذا المكتب وقلت لى أنك تنوى القيام بالمشروع الفلانى، إلى أين وصلت فيه؟

- مجدى مهني: طبعا كنت قد نسيت المشروع تماما.
- رعوف عباس: كنت قد نسيت الحكاية كلها. ليست لدينا ثقافة الكتابة. نحن قوم ثقافتنا شفوية. حتى المتعلمين يحكون لك الحوادث إنما لا يكتبونها. القليل هم من يكتبون. أنا مثلا سمعت من بعض أساتذة الجامعة الذين "إستوزروا" (أى تولوا منصب وزير) والذين تولوا مناصب كبيرة معلومات هامة جدا يجب أن تكتب. وقلت لأحدهم أرجوك إكتب هذا فتردد. قلت له أن هذا ما يفعله المسؤولون في الخارج لأن هذا دين عليهم وحق للوطن.
- مجدى مهني: ربما لا يكون لدى البعض هذا الإحساس بالمسئولية.
- رعوف عباس: نعم. إنما يجب على مثل هذا المسؤول أن يكتب مذكراته ثم يودعها لدى جهة معينة كما أودع الوفد مذكرات سعد زغلول في خزينة البنك الأهلي وأوصى ألا تنشر إلا بعد وقت معين أو لا يُطلع عليها إلا بعد وقت معين. من حق المسؤول أن يوصى بهذا. لم تعد لدينا هذه الثقافة. حتى الخطابات الشخصية والأوراق الخاصة للساسه لا نحتفظ بها. بل أن لدينا مصيبة. فالذى يتولى منصب (وزير أو رئيس مؤسسة مثلا) ثم يخرج منه يجمع كل ما في مكتبه ويأخذه بإعتبار أوراقاً خاصة وأحيانا ما تكون هذه نسخة وحيدة من مذكرات هامة إتخذت قرارات بناء عليها.
- مجدى مهني: وماذا يفعل بأوراقه الخاصة؟
- رعوف عباس: الأوراق الخاصة لصاحب المنصب هي مثلا خطاب تهنئة أو خطاب من صديق أو أقرابه.
- مجدى مهني: لكنها لا تشمل أى أوراق خاصة بالعمل.
- رعوف عباس: نعم لا تشمل أى أوراق خاصة بالعمل. إنما المسؤول عندنا يجمع كل ما يحتويه مكتبه ويخرج. وليس لدينا قانون يشكل ضابطاً لهذا فتكون النتيجة أن تضع وثائق البلد الحقيقية وسط الأوراق الخاصة.
- مجدى مهني: ومع ذلك يرفض أغلب المسؤولين كتابة المذكرات.
- رعوف عباس: عندما خرج عاطف صدقي من الوزارة نشرت جريدة الأهرام على الصفحة الأولى حول مودعيه وذكرت أنه قد نقل أوراقه الخاصة ومتعلقاته الشخصية فى سيارة نقل (لورى). أوراقه ومتعلقاته الشخصية فى لورى! غير معقول!
- مجدى مهني: وأين ذهبت هذه الأوراق؟
- رعوف عباس: لا أعرف إسمه أو إسم عائلته.
- مجدى مهني: أعود لنفس السؤال يا دكتور رعوف: لماذا يرفض كبار المسؤولين كتابة مذكراتهم؟ هل هذا نوع من الثقافة؟ وإذا كان نوع من الثقافة، هل ربما هناك خوف؟ بعض المسؤولين الذين سألتهم: لماذا لا تكتب مذكراتك؟ رفض مجرد الإجابة على السؤال. ربما لأن عندنا تجارب لندن والشخصيات التى إنتحرت هناك.
- رعوف عباس: لا. مثلا ثروت عكاشة وعبد اللطيف بغدادى كتبوا مذكراتهم. كتب الكثير من الذين عملوا مع عبدالناصر مذكراتهم.
- مجدى مهني: هذا عن الثورة لكن مثلا فى عهد الرئيس السادات لم يكتب أحد رغم أهمية الأحداث التى مرت.
- رعوف عباس: بطرس غالى كتب مذكرات مهمة فى كتابه الأخير الذى سبقه.
- مجدى مهني: ومن غير بطرس غالى؟
- رعوف عباس: لا يوجد. لأن تدوين المذكرات أمر راجع للثقافة.
- مجدى مهني: أنا سألت مثلا صفوت الشريف عن كتابة مذكراته. فقال لى: لن أكتب مذكرات. ودكتور أسامة الباز قال لى لن أكتب مذكرات. وأنا شخصيا أعتقد أنه يحمل الكثير من الذكريات. الكثير من المسؤولين لا يكتبون مذكرات أو ذكريات رغم إنهم طبعا كانوا يعملون فى مطبخ الرئيس ولديهم كثير من الأسرار والمعلومات.
- رعوف عباس: إشتريت من لندن يوميات رئيس ديوان مجلس الوزراء (ويسمونه السكرتير العام). وعمل مع إثنين من رؤساء الوزراء فى السبعينات والثمانينات. وقرأت أخيراً من أسبوعين خبر صدور مذكرات رئيس

ديوان رئاسة مجلس الوزراء مع بلير.

مجدى مهني: وليست لدينا هذه الثقافة. في مذكراتك يا دكتور رءوف فضحت الفساد الجامعي. كتبت عنه كثيرا. كيف السبيل إلى إصلاح التعليم الجامعي أو إصلاح الجامعة؟

رءوف عباس: من المفارقات الطريفة أن لى كتاب نشرته جامعة القاهرة فى الثمانينات إسمه "جامعة القاهرة - ماضيها وحاضرها" وكلفنى به الدكتور محمود نجيب حسنى رئيس الجامعة عندئذ رحمه الله ونشرته مطبعة الجامعة. وقد كتبت فيه فصل عن "الجامعة وأفاق المستقبل" تكلمت فيه عن كيفية إصلاح هذه العيوب وفصل عن "إستقلال الجامعة" طلب منى عبد العظيم رمضان السماح بنشره فى سلسلة "تاريخ المصريين" ونُشر بعنوان "تاريخ جامعة القاهرة". إذا فهذا الكلام ليس جديدا وسبق لى الكتابة عنه ولكن المواقف السلبية التى ذكرتها فى سيرتى الذاتية كانت سببا فى تركيز الأضواء عليها لإرتباطها ببعض الشخصيات فتسببت فى بعض الحساسيات. مثلا عندما ذكرت أن رئيس جامعة القاهرة لم يعرف من هو لطفى السيد. طبعاً مواقف صادمة ومن حق الناس تعرف نوع القيادات التى إختاروها نتيجة لسيطرة الأمن. فالأمن هو الذى يختار كل القيادات فى الجامعتهدءاً من العمداء وليس الوكلاء.

مجدى مهني: من المسئول عن هذا الوضع؟ من الذى أفسد القائمين بالجامعة؟ من المسئول عن هذا يا دكتور رءوف؟

رءوف عباس: المسئول هو عسكرة كل شئ فى النظام على يد ثورة يوليو.

مجدى مهني: ثورة يوليو هى المسئولة؟

رءوف عباس: نعم طبعاً.

مجدى مهني: سيادتكم تقول هذا الآن و أنت أحد المحسوبين على ثورة يوليو؟

رءوف عباس: أنا ربيب ثورة يوليو. لولا ثورة يوليو ما كنت جالساً معك الآن. ربما كان مصيرى العمل بكنس الشوارع. صحيح أن ثورة يوليو هى التى فتحت باب التعليم للبسطاء بإعتباره حق للمواطن.

مجدى مهني: لكن هذا الحق أسئ استخدامهم وأسفر عن تولى قيادة الجامعات أهل الثقة وليس أهل الخبرة.

رءوف عباس: فتح باب التعليم شئ ونوعية التعليم وأداء الناس شئ آخر.

مجدى مهني: ولكنه موضوع واحد يا دكتور رءوف.

رءوف عباس: ما حدث قد بدأ بتطهير الجامعة على طريقة "رأس الذئب الطائر" لدرجة أن تكون تنظيم سمو أنفسهم "المدرسون الأحرار" يكتبون تقارير عن أساتذتهم.

مجدى مهني: فى الستينات؟

رءوف عباس: لا فى الخمسينات. كانت حركة التطهير حوالى سنة 54 بعد سنتين من قيام الثورة، سنة 53 تكون تنظيم المدرسون الأحرار وبدلاً من أن يقوموا بإنقلاب لتحسين العملية التعليمية كانوا يكتبون تقارير عى زملائهم أو عى أساتذتهم.

مجدى مهني: ربما صار هؤلاء وزراء بعد ذلك.

رءوف عباس: بعضهم صاروا وزراء وبعضهم م يستفيد شيئاً .

مجدى مهني: تقولها بمرارة شديدة.

رءوف عباس: أقولها بمرارة لأن مشكلة هيمنة الأمن على الجامعة تسبب فيه الجامعيين للأسف الشديد. يبدأ الأمر بأن يشجعون شاب صغير (مدرس مثلاً) بكتابة تقرير عن أستاذهم. وربما لا يكون للتقرير قيمة لديهم ويكون لديهم معلومات أكثر منها فيلقون به فى القمامة خلف ظهره إلا أنهم يشجعونه لكى يستمر وعندما يكبر يستمر فى هذا الدور. أما المستوزرين فلهم طريق آخر فمنهم مثلاً من تتاح له فرصة العمل كمستشار لجهه ما فيبنى علاقات مع أصحاب السلطة. أما كتبه التقارير فتقتصر دائرة علاقاته على المخبرين أمثاله.

مجدى مهني: هل عانيت من هذا يا دكتور رءوف شخصياً؟

- رءوف عباس: للأمانة، أنا لم يحدث لى أن سُدلت أو أصابنى ضرر عن شئ عملته أو شئ قلته.
- مجدى مهنى: فى أى عصر أو فى أى مرحلة؟
- رءوف عباس: نعم، فى أى عصر و فى أى مرحلة. حتى الآن لم يسألنى أحد عما أعمل. ربما لأننى بعيد عن العمل السياسى. مهم جداً أن تكون مستقلاً لتضمن حريتك فى التعبير كأكاديمى أو غير أكاديمى. حتى فى الحياة السياسة العامة، عندما تبدى رياءً ولا تكون منتمياً لتنظيم يكونون على إستعداد لـ"بلعها".
- مجدى مهنى: هل لو ستبداً حياتك العملية من جديد ستختار نفس الطريق ولن تتخبط فى العمل السياسى؟
- رءوف عباس: لا لن أنخرط. لأن الظروف لم تكن تسمح بالإنخراط. دعنى أحكى لك قصة. أنا عرض عليا أن ألتحق بمنظمة الشباب عندما كنت أعمل بالشركة فى كفر الزيات وقد كتبت هذا من قبل. وقد كنت أرى أن من يلتحقون بهذه التنظيمات إنتهازيين فى معظمهم وأن الوطنيين الحقيقيين كانوا يعزلون سياسياً وقد رأيت بعينى عناصر نقابية وطنية تعزل سياسياً بحيث لا يستطيعون الترشح للنقابة. لقد إستخدم سلاح العزل السياسى ضد العناصر الوطنية الشريفة التى تهدف للمصلحة العامة. ومن يهدف للمصلحة العامة لا بد أن يقول كلمة نقد ولا يصفق ويقول "عاش الزعيم" وتكون النتيجة عزله سياسياً. ولذلك من كانوا يقولون "بالروح بالدم نفديك يا جمال" هم نفس من قالوا "إفرم إفرم يا سادات" هم نفس من طلبوا لحسنى مبارك وهم أيضاً الذين صاروا بعد ذلك يتكلمون عن "الفكر الجديد". لذلك نجد عضواً فى البرلمان يحتفل بنصف قرن عضوية فى البرلمان لمجرد صلته بهذه التنظيمات.
- مجدى مهنى: فلنرجع ثانية للجامعة. كيف السبيل لإصلاح الجامعة؟
- رءوف عباس: أولاً تقادى النمطية فى الجامعات. عندما مجلس أعلى للجامعات يهيمن على الجامعات. هو الذى يحدد عدد تاطلاب وهو الذى يحدد آليات تغيير المناهج لأن العلم يتطور بشكل كبير جدا فى مختلف الفروع بما فيها العلوم الإنسانية. نحن لا نواكب هذا لأن آلية تغيير المناهج تستغرق 3 أو 4 سنوات. فعندما تحاول تغيير المنهج أو إدخال برامج جديدة يستغرق إقرارها وقتاً طويلاً فتكون الدنيا قد تغيرت وخصوصاً فى العلوم.
- مجدى مهنى: وهل أحد سبيل الإصلاح إبعاد الأمن عن الجامعة؟
- رءوف عباس: نعم إبعاد الأمن عن الجامعة وأن تتولى كل جامعة إدارة أمورها بنفسها وتضع برامجها بنفسها فيكون هناك تميز. لدينا الآن جامعة القاهرة مثل جامعة قنا مثل جامعة "شطانوف".
- مجدى مهنى: مثلها فى أى شئ؟
- رءوف عباس: لو نظرت للأنحة الدراسة لن تجد فرقاً وكأنها مجموعة من المدارس العليا.
- مجدى مهنى: لا يوجد بحث علمى فى الجامعات على الإطلاق.
- رءوف عباس: لا يوجد بحث علمى لأسباب. أولاً عدم وجود تفرغ. ربما ترد على بوجود نص فى القانون بخصوص التفرغ. ولكن القانون يمنح الأستاذ الجامعى سنة من التفرغ بالمرتب الأساسى فقط. أنا عندما خرجت إلى المعاش كأستاذ جامعى سنة 99 كان مرتبى الأساسى 445 جنيه وكنت أحصل بعد الإضافات على 3000 جنيه. إذا فالأستاذ الذى يحصل على 3000 جنيه يعاقب إذا تفرغ لبحث العلمى بتخفيض دخله إلى 445 جنيه. فلا يوجد بديل للباحث إلا البحث عن منحة أجنبية. والسبب الثانى الأهمية العظمى للإحتكاك بالدوائر العلمية فى الخارج من خلال المؤتمرات. فالمؤتمرات ليست نزهة وسياحة لأن قبول إشتراك الباحث بمؤتمر مرتبط بتقديمه لمشروع بحث يجده منظمو المؤتمر ذو قيمة.
- مجدى مهنى: ماذا عن موضوع فشل التعليم يا دكتور رءوف؟ تقول أن التعليم هو حجر الزاوية فى التنمية الاقتصادية والإجتماعية وأن ماحدث له من تخريب (من وجهة نظرك) هو عملية منهجية. كيف يكون التخريب عملية منهجية؟
- رءوف عباس: هذا مرتبط بعدم وجود مشروع تنمية حقيقية. أعطيك مثلاً: فى دفعة 57 للثانوية العامة التى تخرجت منها، كان لى قريب (عن طريق صلة نسب) أبوه محصل بشركة عبد اللطيف أبو رجيلة للتوبيسات (وكانت أحد الشركات القائمة عندئذ) وله 11 ابن يسكنون معه فى بدروم عمارة بحى شبرا. ونجح هذا الولد فى أن يكون أحد العشرة الأوائل فى الثانوية العامة بالقسم العلمى. وقتها كان بداية تفكير الدولة فى المشروع النووى. فبعثت الحكومة بالعشرة الأوائل لدراسة بكالوريوس ثم ماجستير ثم دكتوراه فى علوم الذرة فى روسيا. ولم يسأل أحد "ابن من هذا الطالب؟". فعندما تعمل من أجل مشروع تنموى

فعلبك أن تنتقى أكفاً العناصر لكي تخدم في هذا المشروع بغض النظر عن الإعتبارات الأخرى. وبعد ذلك ضرب السادات التصنيع والصناعة في مقتل ولعلك تذكر خطابه الذي قال فيه:

أى صناعة وأى كلام فارغ! الدنمارك وهى نفس مساحة البحيرة عندى (فهو طبعاً كان يعتبر مصر كلها عزبته) تطعم العالم كله لين وجبن وزبد. نحن بلد زراعى.

لقد تم التنبه فى الستينات لوجود فجوة فى نظام التعليم المتوسط (التعليم الفنى والتعليم التكنولوجى) وبدأت الدولة تنشئ كليات تكنولوجية ومعاهد عليا تكنولوجية لتخرج التطبيقيين فى مختلف الفروع. تأكل كل هذا وصار إختيار الطلاب للبعثات يتم عن طريق الوساطة.

مجدى مهنى: ولماذا قلت "منهجي"؟

رعوف عباس: كان مقصودٌ ومنظمٌ طبقاً لخطة موضوعة. ليس مهماً أن تكون مكتوبة ولكن كان فى الأذهان صَدْرَ النظر عن هذا الموضوع. فلما كانت الدولة لا تستطيع تشغيل الخريجين فقد دُرِكت التعليم والإنفاق عليه للأفراد. وهذا ما يتم تطبيقه الآن.

مجدى مهنى: ماذا يا دكتور رعوف عن صحة المصريين؟ ثبتُ فى أحد مقالاتك عن ظاهرة خطيرة إستلقت إنتباهك وهى أن كلية الطيران لم تجد الإطالباً واحداً لانقاً طبيياً من بين عشرة آلاف طالب تقدموا للإلتحاق بالكلية.

رعوف عباس: نعم قال هذا الأساتذة الذين حضروا الندوة. فالخدمة الصحية ليست مِمة ولكنها إستثمار.

مجدى مهنى: كمؤرخ كيف ترى هذه الظاهرة، ظاهرة تكالب الأمراض على المصريين وعلى صحتهم؟

رعوف عباس: كما كتبت فى المقال الذى قرأته، أنا أعتبر هذا تخريد لمصر الحقيقة وعدم إحساس بالمسئولية الوطنية.

مجدى مهنى: وهل يصب هذا فى مسألة التخريب المنهجي للتعليم؟

رعوف عباس: طبعاً.

مجدى مهنى: إذاً الموضوعان متصلان ببعضهما.

رعوف عباس: وتصلان أيضاً بالإقتصاد وبيع البنوك. جميعها مواضيع متشابهة.

مجدى مهنى: ذاك كلها متصلة بماسورة واحدة.

بصفتك كمؤرخ كبير ورئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية يا دكتور رعوف، ما الذى يمكن أن يُكتب بعد ثلاثين سنة أو بعد خمسين سنة عن الفترة الحالية من حكم مصر وخاصة فى غياب المعلومات أو تخريب المعلومات وتضارب الحقيقة.

رعوف عباس: مصادر المعلومات ستكون موجودة فى المنظمات الدولية. لقد تغيرت الدنيا. قديماً كنت كالجالس فى حجرة مثل هذه تعمل ما تريد ولا يراك من هو بالخارج. اليوم الدنيا متصلة ببعضها وخاصة عن طريق عالم النت.

مجدى مهنى: لكن فى أى قضية من القضايا التى تطرح هنا فى بلدنا ستجد خمسين وجهة نظر وخمسين إقتراح وكل جريدة أو كل مسئول يقول كلاماً. فمن الصعب الوصول للحقيقة.

رعوف عباس: الوصول للحقيقة بالتوثيق.

مجدى مهنى: وأين التوثيق؟ أى توثيق؟ هل لدينا وثائق فى أى موضوع؟

رعوف عباس: لدينا وثائق ولكنها غير متاحة أو تستنزف حتى لا تصل إلى الناس.

مجدى مهنى: تستنزف بأى معنى؟

رعوف عباس: بالشكل الذى وصفته لك. كأن يأخذ المسئول أوراقه معه. ليس لدينا قانون وثائق حتى اليوم. قانون الوثائق (وأنت على دراية به عندما كنت فى المجلس النيابى) قانون معيب. أنا كنت فى اللجنة التى قدمته قبلها بسنوات وأعدنا قانون وثائق بالرجوع إلى القوانين الموجودة فى الدول المتقدمة وأخذنا

منها ما يناسبنا. حتى اليمن إستفدنا من قانون الوثائق فى اليمن لأنه كان أحسن مما لدينا.

مجدى مهنى: اليمن عندها قانون وثائق ونحن ليس لدينا؟!

رعوف عباس: نعم، عندهم قانون جيد إستفدنا منه. وبعد أن قدمنا المشروع قامت الأجهزة المختلفة بتشويبه فوصل إلى البرلمان بالشكل الذى رأيته. ثم أعدنا له تعديل لا نعرف ماذا حدث له. قضينا شهر فى هذا العمل.

مجدى مهنى: وما دور الجمعية المصرية للدراسات التاريخية التى ترأسها؟ ما مسئوليتها هنا؟

رعوف عباس: هى جمعية أهلية خاضعة لقانون الجمعيات التابع لوزارة الشؤون الإجتماعية مثل جمعيات دفن الموتى وجمعيات ملاجئ الأيتام.

مجدى مهنى: مع إن الجمعية أنشأت سنة 45؟

رعوف عباس: نعم، فليس لدينا تقسيم للإشراف الحكومى على الجمعيات. فمن المنطق إذا كان هناك جهة رقابة حكومية على عمل الجمعيات العلمية أن تكون وزارة الثقافة أو وزارة التعليم أو وزارة البحث العلمى ولا تكون وزارة الشؤون الإجتماعية. فنحن جمعية خاضعة لقانون الشؤون الإجتماعية مثل أى جمعية خيرية.

مجدى مهنى: وبالتالي ليس لها دور.

رعوف عباس: وبالتالي ليس لها دور ولا أسأل. مثلاً عملنا ندوة عن قضايا التعليم والمناهج المهترئة وإستعنا بخبراء التعليم مثل أستاذنا العظيم حامد عمار وأعدنا تقرير بما دار فى الندوة رفعناه لوزير التربية والتعليم فألقى به فى القمامة. طبعاً هم لا يلجأون إلى أهل الإختصاص. يختارون من يسألونه ليحصلوا منه على موافقة على ما يصنعون ولا يطرحون المسألة لأصحاب الرأى من أهل الخبرة ليدلوا بدلوهم خدمة للوطن.

مجدى مهنى: ونحن نتكلم عن التعليم يا دكتور رعوف. كان لك رأى حول الجامعة الأمريكية فى القاهرة وكتبت أكثر من مقال عن الدور المريب للجامعة الأمريكية فى القاهرة.

رعوف عباس: نعم، هل تعلم أن الجامعات البريطانية كلها تقاطع الجامعات الإسرائيلية؟ الجامعات البريطانية بالكامل! إتحاد الأكاديميين البريطانى يقاطع الجامعات الإسرائيلية من أجل ما يحدث مع الفلسطينيين ويعتبرونه نوع من التمييز العنصرى.

مجدى مهنى: منذ متى يقاطعونها؟

رعوف عباس: يقاطعونها منذ 3 سنوات. والجامعات المصرية تقاطعها أيضاً. فلا نقبل ألا تلتزم بالمقاطعة جامعة موجودة على أرض الوطن ولا تحترمنا ولا تحترم الأكاديميين المصريين ولا تحترم قضايانا الوطنية.

مجدى مهنى: ولكن لها قوانينها ولها لوائحها.

رعوف عباس: لها قوانينها ولها لوائحها ولكن ليس مقبولاً أن تفتح سرداباً للتطبيع.

مجدى مهنى: أسمح للأكاديميين الإسرائيليين بالعمل من خلالها؟

رعوف عباس: نعم، حضروا مؤتمر فى الصيف السابق وقال رئيس الجامعة الأمريكية فى القاهرة أننى لا أستطيع أن أمنع من تمنحه الحكومة المصرية الفيزا. هذا غير مقبول.

مجدى مهنى: ولماذا يلتزم بالجانب الوطنى؟ ما الذى يدفعه لذلك؟

رعوف عباس: سأحكى لك ما حدث عندما إجتمع مجلس أمناء الجامعة الأمريكية فى فبراير 2005 (ومقره فى واشنطن ولكن أحياناً يجتمع هنا).

مجدى مهنى: ولكن سبق لك أن قمت بالتدريس لفترة فى الجامعة الأمريكية.

رعوف عباس: أنا كنت تُعارةً للجامعة الأمريكية ودرست بها من 91 حتى 95. ولكنهم عقدوا إجتماعاً فى فبراير 2005 طُلب فيه من الإدارة أن يقوموا بتسويق الأجندة الأمريكية السياسية فى المنطقة. ونظراً لأنهم ينشئون حرم جامعى كبير فى القاهرة الجديدة يحتاج لمبالغ طائلة فقد بدأوا فى إحداث تغييرات فى

سياساتهم وإختيار أشخاص ليقومون بتسيير هذا الموضوع. وبالتالي فقد إعترض الأكاديميين المصريين والعرب هناك وغيرهم وأثبتوا إحتجاجهم.

هل لهذا تأثير على الطلبة ومناهج الدراسة نفسها؟

مجدى مهني:

طبعاً لها تأثير. ألا يكون هناك تأثير عندما يعتقدون ورشة عمل ويستضيفون إسرائيليين؟ والمطلوب هو تسويق مشروع الشرق الأوسط الذى نعارضه.

رعوف عباس:

المفروض أننا ضده كدولة أيضاً وليس فقط كشعب.

مجدى مهني:

لا أضمن بنسبة 100% أننا ضده كدولة. إنما أنا أقول لك كمواطن مصرى أننا ضده ومستعدين لبذل كل جهدنا لإفشاله. فعندما يفتح لنا سرداب للطبييع فمن حقنا أن نقول له قف وندعوا للمقاطعة. وقد تراجع رئيس الجامعة وبعثبريداً إلكترونياً لكل أعضاء هيئة التدريس قال فيه أن الجامعة لن تخرج عن الإتجاه الوطنى المحلى وستفاهم فى هذا الموضوع بعد أجازة نهاية العام. وأنا أعتقد أن هذا نوع من ال"لا مساس ولا مسيس" وبعده ينفذون المشروع. فما دمنا مستيقظين لن نسمح بهذا. هل قضية فلسطين قضيتنا أم قضية الأكاديميين الإنجليز؟! عندما كنت هناك فى زيارة إنجلترا كانوا ما زالوا يكتبون مقالات تستنكر هذا الموضوع. وردت عليهم اللجنة المنظمة لمؤتمر الأكاديميين المتبنى للمقاطعة (وكانوا يعتقدون إجتماع فى تلك الأيام) قائلين أنهم قد سبق لهم مقاطعة إتحاد جنوب أفريقيا والذى تقعله إسرائيل أسوأ من إتحاد جنوب أفريقيا (هذا كلامهم).

رعوف عباس:

دكتور رعوف: سيادتكم أصدرت مع عشرات من المثقفين بيان اتهمتم فيه القوى السياسية الممثلة لظاهرة الإسلام السياسى أنها تتحدث بإسم الدين وكان ذلك بمناسبة حديث وزير الثقافة الدكتور فاروق حسنى عن ظاهرة الحجاب أو موضوع الحجاب. هل تعتقد إن المجتمع المصرى إستسلم فكرياً لتيار الإسلام السياسى؟

مجدى مهني:

لقد عملوا بطريقة جيدة لا تملك إلا أن تصفق لهم عليها سواء إتفقت معهم أو لم تتفق. لقد بدأوا فى تقديم الخدمات الإجتماعية فى الوقت الذى ضعف فيه دور الدولة فى هذه الخدمات (مستوصفات علاجية، مدارس حضانة، مدارس إبتدائى، وبعد ذلك بدأوا يتدرجون فى المدارس). ولكنهم يقدمون هذه الخدمات للناس بشكل إنتقائى: للمسلمين فقط فى الأحياء الشعبية.

رعوف عباس:

لكن توجد أيضاً جمعيات قبطية والكنيسة أيضاً تقدم مثل هذه الخدمات بالنسبة للإخوة الأقباط.

مجدى مهني:

لكل فعل رد فعل. عندما تستثنى قطاع من المواطنين يقومون بالمثل. تصل الأمور الآن إلى فرز فى سوق العمل فالمسلم لا يوظف إلا مسلم والقبطى لا يوظف إلا قبطى. والأمر الآخر أن الجماعات الإسلامية ركزت نشاطها على كليات التربية (وهذا أمر لم نلتفت له) وبالتالي أنتجوا أفواجاً من المدرسين طوال السبعينات ومعظم الثمانينات من الذين تأثروا ليس فقط بالإخوان المسلمين وإنما بالفكر الوهابى المنغلق الذى ينتمى إلى ثقافة أخرى والذى يرفض الآخر الدينى ويعتبر من هو ليس مسلم فهو كافر. وبالتالي فبدلاً من التركيز على طلاب الجامعة بشكل عام، كان تركيزهم الأساسى على من سيعملون على تربية المواطنين.

رعوف عباس:

أريد أن أصل من مناقشة هذه القضية لنقطة أخرى وهى كيف نتعامل كمجتمع وكيف تتعامل الدولة مع التيار الإسلامى السياسى؟ ما الحل؟

مجدى مهني:

أولا التيار الإسلامى السياسى ممثلاً فى الإخوان المسلمين ساساً متأصل فى هذا المجتمع ولا يجدى القمع معه ولا يمكن إستئصاله. وينطبق هذا أيضاً على التيار الإشتراكي الضعيف المهلهل والحركة الشيوعية. لهما وجود ممتد لا يمكن إنكاره من قبل التيار الإسلامى فى المجتمع. ولكنه ضعيف وملئ بالجروح. فإذا أسسنا مجتمع ليبرالى يجب أن نتاح الفرصة لكل من هو موجود على الساحة لتكوين حزب سياسى مع عدم المساس بالحدود التى يضعها الدستور فيما يتعلق بالأحزاب الدينية. مثلاً يمكنهم الإستفادة من النموذج التركى لحزب العدالة والتنمية.

رعوف عباس:

ذاتاً أنت مع إستيعاب هذا التيار؟

مجدى مهني:

أنا ضد إقصاء أى تيار مهما كان موقفى الشخصى منه.

رعوف عباس:

إذاً الدكتور رعوف مع التعامل مع التيار الإسلامى السياسى ودمجه فى العملية الديمقراطية نفسها. أيضاً فى كتاباتك دعوت إلى تشكيل أو إنشاء جبهة وطنية تضم كافة القوى السياسية بهدف وضع ميثاق للعمل الوطنى.

مجدى مهني:

رعوف عباس: هذا ما نحتاجه اليوم ونحتاجه أى بلد تمر بأزمة كالتى نعيشها لأننا نعيش مرحلة نحتاج فيها لرفع ركام ما حدث والتفكير فى بناء جديد مكانه. ثورة 19 كانت جبهة وطنية، الثورة المصرية 1881 – 1882 قامت بها جبهة وطنية كان فيها عسكريين وغير عسكريين، الضباط الأحرار فى ثورة يوليو كانوا جبهة وطنية من مختلف الإتجاهات والتيارات. نحتاج لهذا فى مراحل البناء. ووضعنا الآن بالضبط مثل بلد أصابها زلزال وبحاجة لإعادة البناء.

مجدى مهنى: وماذا عن "الفكر الجديد"¹ والبناء الحالى؟

رعوف عباس: هذه نوابغ الزلزال. نحن بحاجة لكل الرؤى لإنقاذ مايمكن إنقاذه.

مجدى مهنى: هل وصلنا حقا لهذه المرحلة؟ هذا كلام هام نصوصاً أنه يقال على لسانك كمؤرخ.

رعوف عباس: وقد كتبته أكثر من مرة. نحتاج إلى برنامج للإنقاذ الوطنى يشارك فيه الجميع ويكون هدفه إنقاذ ما يمكن إنقاذه. ثم تأتى التفاصيل بعد ذلك فى مرحلة تالية بعد رفع الركام والبدأ فى رفع البناء الجديد. عندئذ نبدأ النقاش: هل يكون البناء من أربعة أدوار أو ستة أدوار أو 400 دور مثل برج دى. الخلاف فى التفاصيل يأتى لاحقاً.

مجدى مهنى: لكن تشكلت فعلا جبهة برئاسة الدكتور عزيز صدقى يمكننى أن أقول أنها فشلت أو لم تحقق النتائج المرجوة منها. جبهة دخلت فيها قوى سياسية.

رعوف عباس: فساد هذا الوطن فى نخبته. نجلس فى حجرات مكيفة أو غير مكيفة ونتكلم. لكى نشكل جبهة وطنية نحتاج لظهير جماهيرى. لا بد أن تقنع الناس أولاً بأهمية وجود هذه الجبهة وما يمكن أن تفعله من أجلهم. عندئذ تقف الجماهير وراها.

مجدى مهنى: الناس منصرفه عن العمل السياسى والإجتماعى.

رعوف عباس: لو سألتنى عن عدد الأحزاب لرسبت فى الإمتحان. إنها لافتات ولا أحد يعمل مع الناس. مثلاً لا يتبنى أحد قضايا مثل المياه وأزمات وإضرابات العمال وغيرها. نكتب مقالات: أنت تكتب وأنا أكتب وغيرنا يكتب والكثير من الناس أصابهم الضيق. العيب هو أن هذا النظام يراهن على إن تمر العاصفة ثم يفعلون ما يريدون.

مجدى مهنى: وخلال 25 سنة نجح هذا الإسلوب.

رعوف عباس: أنا طالبت بقيادة جبهة وطنية حقيقية منبثقة من الناس وللأسف لا يرغب أحد فى العمل.

مجدى مهنى: أليس الدكتور عزيز صدقى قيادة للجبهة.

رعوف عباس: ليس المطلوب أن نجلس حول مائدة كهذه لنضع مشروعاً. دور الفكر وارد فى البداية (فكر ليس جديداً. فكر رجعى مثل فكرى²). بعد بناء الفكر يجب إقناع الناس به. وإلا فلن يقف أحد بجانبك عندما تطالب به. سينتهى بك الأمر بإصدار بيان فى جريدة لا قيمة له.

مجدى مهنى: هل تنتظر الناس زعيماً أو طلائاً؟

رعوف عباس: عندما يقتنع الناس بأن ما تقوله فى مصلحتهم ويرونك واقفاً إلى جوارهم عندما ينظمون مظاهرة من أجل مشاكلهم اليومية كالمياه ويجدونك تعمل معهم وتتبنى قضاياهم سيصدقونك.

مجدى مهنى: لقد قلت أننا فى حاجة إلى إعادة ترتيب الأوراق من أجل نظام ديمقراطى صالح فى مواجهة الديمقراطية الأمريكية أو الديمقراطية الغربية. أولاً ما هى هذه الأوراق؟

رعوف عباس: ليس هذا ما قلته. لقد حدث خطأ فى النقل عنى.

مجدى مهنى: ولكنك كتبت هذا.

رعوف عباس: لقد كتبت "فى مواجهة المشروع الأمريكى الذى يبيع لنا الديمقراطية".

¹ كان الحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم يتبنى شعار "فكر جديد" عندما عُدَّ هذا اللقاء.
² فى هذا التعليق يسخر د. رعوف عباس من شعار الحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم: "فكر جديد".

- مجدى مهني: ما هي الأوراق التي في إيدينا والتي نستطيع إعادة ترتيبها وكيف نعيد ترتيبها؟
- رعوف عباس: سأعود بك إلى الجبهة الوطنية. هذا من مسئوليات الجبهة الوطنية.
- مجدى مهني: إذاً تشكيل جبهة وطنية هو الأساس.
- رعوف عباس: هذا هو المطلوب لعمل مشروع لخروج مصر من ما هي فيه. مثل المؤتمر المصري في سنة 11 بعد الفتنه الطائفية والذي أقام مشروع نهضوى لمصر في أول القرن العشرين.
- مجدى مهني: وما هي القوى السياسية الموجودة الآن والمرشحة لتبنى هذا المشروع أو لتشغيل هذه الجبهة. أين القوى السياسية الموجودة؟
- رعوف عباس: القوى السياسية هي كل الناس التي تعمل على الساحة -لأ- من العمل في الغرف المغلقة.
- مجدى مهني: من يعمل بالسياسة على الساحة هم الإخوان المسلمين أو التيار الإسلامى. وفيما عدا ذلك لا وجود لقوى أخرى.
- رعوف عباس: لا وجود لقوى أخرى لأن القوى الأخرى قد غيبت نفسها ولم يغيبها غيرها. لأنها عاجزة عن إن تكون شريكاً في جبهه وطنية لأنها رافضة للآخرين. والإخوان المسلمون أيضاً كان لهم موقف إنتهازياً مع حركة كفاية. يقفون مع كفاية ليحققوا مكسب وقتي عندما يكون بينهم وبين النظام مشكلة ثم ينسحبون ويختفون من النشاط عندما يلوح لهم النظام بمندبل أخضر. إنهم مستعدون لتوظيف الآخرين لخدمتهم وليس عندهم إستعداد لخدمة الآخرين. لم يقتنع الإخوان في رأبي بفكرة الجبهة الوطنية. الجبهة الوطنية في نظرهم هي أن يتبعهم الجميع أن يفعلوا ما يريدون. ليس هذا هو المطلوب. إنما المطلوب إن نصبح كلنا شركاء في عملية البناء.
- مجدى مهني: تجربة اليابان يا دكتور رعوف. أنت أحد أهم الأكاديميين العرب اللذين لفتوا الإنتباه إلى المجتمع اليابانى. في رأيك لماذا أخفقنا نحن كمصريين و كعرب فيما إستطاع اليابانيين أن يحققوه؟
- رعوف عباس: باختصار. لقد بدأنا قبل اليابان بمشروع تنموى حقيقى بين 1816 أو 1820 في حين بدأت اليابان في 1868 بعدنا بحوالى أربعين سنة. مع الفارق. كان البناء عندنا من خلال حاكم فرد وكان هناك من خلال طبقة الساموراي وهم جزء من النظام الإقطاعى وجدوا أن مصلحة وطنهم (اليابان) ستضيع في الطريق الى الصين. فقد كان الجميع يتجه إلى الصين ويريد محطة في الطريق. فبدأوا يصلحون من أنفسهم ويعيدون بناء بلدنهم.
- مجدى مهني: العمل الجماعى.
- رعوف عباس: العمل الجماعى قامت به قوى وطنية صاحبة مصلحة في هذا التغيير ولذلك كانت هناك استمرارية. ويعد ذلك عندما حققوا درجة معينة من النمو إتبعوا كل آليات التوسع الإمبريالى التي تتبعها الدول الأخرى بعد إشتراكهم في الحرب الروسية سنة 4 بالتحالف مع الإنجليز وإستولوا على منشوريا وفرموزا (تايوان حالياً). ثم تبناوا مشروع أسيا للأسيويين في الحرب العالمية الثانية لكي يتوسعوا في المناطق التي بها إحتلال أجنبى في جنوب شرق أسيا بحجة أنهم يحمون الشعوب الأسيوية.
- مجدى مهني: ماذا نستفيد من هذه التجربة؟
- رعوف عباس: لقد كتبت أن هذه التجربة ليس فيها ما يمكن أن نستفيد منه إلا شئ معنوى. يمكننا الإستفادة الجزئية من بعض التجارب الإيجابية. مثلاً هم أنشأوا قطاع عام في ثم قاموا مبكراً بخصصته ثم أعادوا إنشاء قطاع عام بعد الحرب العالمية الثانية. أما تجربة النمو الكاملة فلا تناسبنا.
- مجدى مهني: سؤال أخير: هل دكتور رعوف عباس يراجع نفسه ويراجع أفكاره؟
- رعوف عباس: نعم. أفكارى تغيرت كثيراً. أغير ما كتبه منذ عشرين أو ثلاثين عاماً عندما أكتشف فيما بعد حقائق واقعة تناقض ما ذهبت إليه. هناك فارق بين صاحب الفكر وبين صاحب الرأى الذى يمكن أن يُعَيَّر رأيه. أنا صاحب فكر ولكن أرائى فيما يتعلق بتفسير تاريخ مصر من العصر العثمانى حتى الآن تغيرت كثيراً جداً جداً عندما وقعت يدى على ما يثبت خطأ ما ذهبت إليه من قبل.
- مجدى مهني: أشكرك يا دكتور رعوف كل الشكر.

أعزائي المشاهدين إلى اللقاء في حلقة قادمة من برنامج في الممنوع.